المسجد العمرى بالطود.. مزيج بين الحضارة الفرعونية والإسلامية

يرتفع على 8 أعمدة فرعونية ومسلة جرى صقل زواياها لإعطائها شكلًا مغايرًا يناسب وظيفتها الجديدة

تشتهر محافظة الأقصر بصعيد مصر، بامتزاج الحضارة الفرعونية بالإسلامية فيها، حيث تضم المحافظة عددًا كبيرًا من المساجد التاريخية، التى بنيت معظمها فى فترة مبكرة من الفتح الإسلامى لمصر، وأبرز هذه المساجد: المسجدان العمريان فى مدينة إسنا، والمسجد العمرى بالطود، ومسجد أبو الحجاج بمدينة الأقصر، وتشترك هذه المساجد جميعها بوجود أعمدة فرعونية بداخلها ترفع سقفها.

ويظهر ذلك بشكل واضح فى المسجد العمرى بالطود، الذى يقع على بعد ٢٠ كيلو مترًا جنوب مدينة الأقصر، حيث يجمع المسجد بين الحضارة الفرعونية والإسلامية؛ لاحتوائه على أعمدة أثرية فرعونية، حيث وصفه أحد أشهر علماء الحملة الفرنسية كوستار، خلال زيارته إلى المسجد فى ٢٢ سبتمبر عام ١٧٩٩م، أنّه يحتوى على ثمان أعمدة من الجرانيت تعود إلى الحضارة الفرعونية، وقطعة من مسلة تم صقل زواياها؛ لإعطائها شكلًا ثانيًا يناسب وظيفتها الجديدة، ولكن يبقى من السهل التعرف على هيئتها القديمة؛ بفضل الرموز الهيروغليفية التى لا زالت ظاهرة على طول العمود. تلك القطعة التى تشهد على أنّ مدينة الطود كانت قديمًا مزينة بالمسلات، وهو الشيء الذى يجعلنا نظن أنها كانت ذات أهمية كبيرة.

ويقول الباحث الأثرى عبدالغفور عبدالله: "إن الشواهد الأثرية الفرعونية ظاهرة للغاية بالمسجد، من خلال شكل الأعمدة، والشواهد الأثرية الإسلامية المتمثلة فى التيجان العربية، والكوابل، والدعامات الخشبية المتعانقة مع الأعمدة الأثرية، فضلًا عن شاهد حجرى منقوش عليه باب ضريح ومقام حسن عبدالمنعم أغا، حاكم الشرق والغرب وناظر قسم إسنا، وقبلة المسجد التى تحتوى على عمودين من الجرانيت يرجح أنهما فرعونيين".

تاريخ البناء

"هُدمتْ مئذنة المسجد التاريخية فى عام 2003، دون الوعى بقيمتها الأثرية الكبيرة وبأنها تعود إلى العصر الفاطمي"

"لفت انتباه علماء الحملة الفرنسية أثناء زيارتهم له 22 سبتمبر عام 1799م؛ بسبب طابعه الفريد"

أوضح الباحث الأثرى الدكتور أحمد محمود الطيري، أنّه لا يوجد شاهد يبين تاريخ بناء المسجد، ولكن من المؤكد أنه أقدم مساجد صعيد مصر، ويرجح أنه قد بنى بعد الفتح الإسلامى لمصر مباشرة. ويشير الطيرى إلى أن تسمية المسجد العمرى لا تعنى بالضرورة أن منشئه هو عمرو بن العاص؛ وإنما تطلق على أقدم مسجد فى كل إقليم أو منطقة، نسبة إلى جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط، الذى يعد أول مسجد جامع فى مصر الإسلامية.

وأضاف أن بعض المستشرقين الفرنسيين مثل: جان كلود جارسان، يرجح أنّ يكون مسجد الطود العمرى أنشئ خلال الفترة التى أنشيء فيها المسجد العمرى بقوص؛ نظرًا لوقوعه فى المنطقة نفسها، ولتطابق بناء المئذنتين فى كلا المسجدين، على نسق المساجد الفاطمية القديمة.

ولفت الطيرى إلى أنه تم هدم مئذنة المسجد التاريخية فى عام ٢٠٠٣، دون الوعى بقيمتها الأثرية الكبيرة، وأنها تعود إلى الفترة الفاطمية، مثلها مثل مئذنتى مسجدى إسنا العمريين الباقيتين حتى الآن.

معبد طود

وفى المقابل من المسجد الذى يقع على ربوة مرتفعة، يوجد معبد الطود، الذى يرجح أن المسجد قد بنى من أحجاره وأعمدته.

وقد بُنى معبد الطود فى عهد الأسرة الرابعة، لعبادة الإله «مونتو» إله الحرب، وهو الإله الذى جرى تقديسه فى جنوب طيبة بمدينتى الطود وأرمنت.

واعتمد المعبد فى بنائه على الحجر الرملي؛ لقربه من محاجر الحجر الرملى فى إدفو بأسوان، كما استُخدم أيضًا لسهولة الحفر والكتابة عليه، ومن ثم تلوينه بحجر البازلت والجرانيت.

وخضع المعبد إلى مراحل ترميم فى عصور مختلفة منذ تشييده فى الأسرة الرابعة، حيث توجد رسومات تشير إلى تحتمس الثالث، ورمسيس الثاني، وبطليموس، وكليوباترا، ورسوم الخرطوش الفارغ التى تعود إلى العصر اليوناني.

وقد تعرض للإهمال على خلفية أفكار عقائدية متشددة، إبان العصر المسيحى فى مصر، فبعض النقوش فى المعبد مُمحاة.

"يقابل المسجد معبد مونتو إله الحرب عند المصريين القدماء"

تقرير: د. عبدالكريم الحجراوي